مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (8) العدد (1) 2024
ISSN (Print): 2710-446x , ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2024/03/29، تاريخ القبول: 2024/04/20، تاريخ النشر: 2024/04/30

السعاية وأثرها في الحياة السياسية والأدبية بالأندلس

رضا محمد جبران
قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة طرابلس، ليبيا
gobran77@yahoo.com

المستخلص:

هدف البحث إلى بيان مفهوم مصطلح السعاية ودوافعها، والتعرف على الأسباب التي دفعت كثيرا من الناس على مختلف صفاتهم ومراتبهم إلى التحلي بهذه الصفة الذميمة، المحرمة، والتي سببت في زوال ما شيده الأجداد الفاتحون في الأندلس من مجد الإسلام الذي دام أكثر من ثمانية قرون، ثم يوضح هذا البحث أيضا فقدان أعظم نعمة في الدنيا، ألا وهي العقيدة الصحيحة، التي يجب ألا يداخلها شك، وكذلك اليقين البين، وصادق الإيمان بالله، حيث شاع التحاسد، والتباغض، والتنافس غير الشريف، والركون إلى الدنيا، ونسيان فضل الله، واليوم الآخر، والغفلة، خاصة بعد فك رباط الخيل المعقود بالإيمان، وترك الجهاد، وتنكيس راية الإسلام، وخلود النفس إلى الدعة وملذات الدنيا، وهو الطريق الذي أفسح المجال واسعا للسعاية والنكاية، بين ضعاف النفوس، وأصبح الحسد هو الفيصل الذي شتت أخوة الدين الواحد، في السياسة والحكم، والأمر والنهي، ومجالي العلم والأدب، وخيمت العصبية المقيتة، وقد اعتمد الباحث في توصيف مصطلح السعاية ومدارها إلى المنهجي التاريخي والوصفي استئناسا بالشواهد والأدلة والمواقف التاريخية المبثوثة في مضان الكتب التاريخية التي أرخت لأعصر الأدب والسياسة في الأندلس، ومن أهم نتائجه تشنيع الخضوع لمثل هذه الأساليب التي أذهبت عظمة الحضارة الإنسانية في الأندلس، وأخذ العبرة بزوالها، والعودة للحق وترك الهوى، والتحلي بالعقيدة الصحيحة التي قوامها الإيمان الصادق.

الكلمات المفتاحية: مفهوم السعاية . الدافع السياسي. دافع التغرير والكيد . سقوط الأندلس.

مقدمة:

نمت إلى فهوم كثير ممن تعلقت قلوبهم ووجداناتهم بعبق أريج تراث أمتنا الفواح، عن رحاب فردوسنا الأندلسي المفقود، وفي ظل تلك الهمهمات، والشهقات، والزفرات المكلومة، التي توسعت حسراتها في الوقوف على تلك الأزمنة الزاهرة، والحضارة الأندلسية العاطرة، حيث تتأوه القلوب، وتتلمظ الشفاه بشهي ما استعذب من الأيام المسعدة، التي بنى صرحها الأجداد الفاتحون الموحدون، وبدد

جمالها الحساد المرجفون، حيث أصبحت أطلالا بالية، وحصونا خاوية، بعد عمران، جلى غشاوة الظلام في عصور كان الإسلام منارها ونبراسها، عندما أخرج الناس من الظلمات إلى النور، ورايته خفاقة عالية، ترهب عدو الله وعدونا، ولله در الشاعر أحمد شوقي[1] حيث قال:

مَرَرتُ بِالمَسجِدِ المَحزونِ أَسأَلَه هَل في المُصلى أَو المِحرابِ مَروانُ؟
تَغَيَرَ المَسجِدُ المَحزون وَاختَلَفَت عَلى المَنابِرِ أَحرارٌ وَعبدانُ
فَلا الأَذانُ أَذانٌ في مَنارَتِهِ إِذا تعالى وَلا الآذانُ آذانُ
آمَنتُ بِاللَهَ وَاستَثنَيتُ جَنَّتَهُ دمِشقُ روحٌ وَجَنّاتٌ وَرَيحانُ

فما أشبه الليلة بالبارحة! فليس أعدى على الإنسان من نفسه التي تتوق إلى متاع دنيوي زائل، تتحكم فيه الأهواء والملل، والذي كان سببا في هدم عروش الإسلام في تلك الديار المأنوسة، وصدق مالك بن دينار ت130 هـ، عندما قال: ((جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم))[2]، من هذا المفهوم الوسيع جاءت الرغبة تلبية للنظر في مصطلح السعاية، الذي صار سمة على أهل تلك الحضارة، التي بنيت بالتوحيد، وهدمت بالسعاية والتهديد، رأيت أن يكون هذا البحث إضاءة لتبديد عتمات نفوسنا، واعتبارا، وعظة تستوقف كل سائل يسأل عن أسباب ضياع ذلك الفردوس البهيج، ويظهر شناعة الخيانة والغدر، وسوء السعايات التي أطاحت بعرش الإسلام في الأندلس، وضيعت مجد المسلمين، في مجالي السياسة والأدب، وأنا هنا لا أزعم الإحاطة بكل تفاصيل تلك السنوات، وما دار في الأزمنة من جنايات، ولكنها إشارات لعلها تتوسع في قادم الأيام، فلا يمكن أن نصف البحر في قطرة، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، فقد كسرت هذا البحث على قسمين: أحدهما يعنى بتعريف مصطلح السعاية، وما تأكد رسمه ووسمه في تحبيرات العلماء والأدباء، ويشمل أيضا دوافعها المختلفة، ومهادها الذي تنشط فيه، ثم جاء قسمه الآخر ليستظهر بعض آثار السعاية، تمثل بعضها في أروقة الحكم والسياسة، و تفشى الآخر في باحات الأدب، ومسارح الأدباء والعلماء.

[1] شعر شوقي في ميزان النقد، محمد مصطفى المجذوب، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،ط7، 1975، ص90.

[2] الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997 م، ج2، ص128.

القسم الأول: مفهوم السعاية ودوافعها

لقد تلونت ثقافة المجتمع الأندلسي بكل ألوان الحياة البهية والمشرقة، وكان الجمال يوشح كل جنباتها، وقصورها، وحدائقها الغناء، ومعالمها التي لاتزال شاهدة على حضارة أصيلة مشرقة، ملأت الدنيا أمجادا وسؤددا، ولكن سرعان ما أفسد هذا الجمال أحد ألوانها، وحولها إلى جحيم مقيم، اصطبغت ألوانه السوداء على أطلال تلك الربوع، واسودت في عيون عشاقها؛ حيث لعبت السعاية دورا خطيرا في هدم تلك القيم والمبادئ الإسلامية الخالدة، التي غرسها الأجداد، وزعزعت أركان الإسلام وعرشه في الأندلس، فهي تدور ما بين الساعي، والضحية وصاحب السلطة، بين ثلاث جهات كالمثلث، كما وصفها أبو المطرف ابن عميرة بقوله: ((وذهبت علامة الرفع، وفقدت سلامة الجمع، والمعتلّ أعدى الصحيح، والمثلّث أردى الفصيح))[1]، وصدق القائل: ((السعايات أقتل من الأسياف، ومن السم الزعاف))[2]، فهي سلوك ممقوت تواتر تشنيعه على ألسنة كل الخلق، ولا يحمد صاحبه كما أخبر الجاحظ، بقوله: ((وذمّ رجل رجلا فقال: سيء الروية، قليل التقية، كثير السعاية، قليل النكاية))[3]، فالسعاية مصطلح شاع استخدامه في كثير من تحبيرات الكتاب والنقاد، وعلى ألسنة من حكم على ضياع تلك الديار الأندلسية العامرة، فضلا عن استخدامه في معاجم اللغة، قبل أن يكون له فرادة وتميز في الأندلس، فهو مأخوذ من معنى الجذر اللغوي سعى، وهو :((كل عمل من خير أَو شَرّ، و سَعَى بِهِ: إذا نَمَّ بِهِ، ووَشَى إِلَى الوَالِي، وسَعَى السّاعي، سّعْيَاً. وسَعى على القومِ، سعايةً: إذا أَخَذَ صَدَقَاتِهم. وكذلك سَعَى به إلى الوالي: إذا وَشَى به ونَعاهُ له))[4].

ولعل أبلغ تعريف للسعاية اصطلاحا، ما جاء في قول محمد المنجد[5] : ((أما السعاية فهي الوشاية: أن يشي بإنسان عند صاحب سلطان أو منصب لكي يوقع به، وهذه السعاية والوشاية هي شر الثلاثة؛

---

[1] صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحِميرى، عنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها: بروفنسال، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط2، 1988، ص51.

[2] الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، مكتبة القرآن، القاهرة، ط2، 1982 ص61.

[3] البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار الهلال، بيروت،ط3، 1973، ج2، 74.

4 تاج العروس مادة سعي.

[5] محمد صالح المنجد، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

1. net.islamweb.www//:http

لأنها تجمع إلى مذمة الغيبة، ولؤم النميمة، التغرير بالنفوس والأموال))1، قال الله تعالى: ((هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ومنه أيضا وصية عبد الحميد الكاتب للكتاب حيث يقول: ((وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيّها ودنيّها وسفساف الأمور ومحاقرها فإنّها مذلّة للرّقاب مفسدة للكتّاب ونزّهوا صناعتكم عن الدّناءة واربأوا بأنفسكم عن السّعاية والنّميمة))2، وورد هذا اللفظ أيضا في أشعار الشعراء مثل قول أحمد بن ليون التجيبي:

العَزلُ يُضحكُ ذُلَّهُ مِن تِيهِ سُلطانِ الوِلايهْ
فَإِذا وَليتَ فِسِرْ عَلى نَهجِ الدَّماثةِ وَالرِّعَايهْ
وَاقصد مُداراةَ الوَرَى وَاحذرْ كُيودَ ذَوي السِّعَايَهْ3

وليس أدل على صدق ما أوردناه من شيوع تلك اللفظة ووقفها على تلك الديار، ما ورد في كتابات الكتاب والنقاد، وعلى ألسنة بعض الساسة، مثل ما ورد في وصية المنصور بن أبي عامر لابنه عبد الملك، وهو يحذره من شر السعاية حيث قال: ((فلا تطلق يدك في الإنفاق، ولا تقبض لظلمة العمال، فيختل أمرك سريعاً، فكل سرف راجع إلى اختلال لا محالة، فاقصد في أمرك جهدك، واستثبت فيما يرفع أهل السعاية إليك))4، وكذلك ما جاء في قول ابن الخطيب: ((نشأت بينه وبين المتغلب بمالقة من الرؤساء التّجيبيين من بني إشقيلولة، وحشة أكّدتها سعاية بعض من استهواهم رجل ممخرق من بني الشّعوذة، ومنتحلي الكرامة، أوجبت امتحانه))5، ومنه ما أورده أيضا ابن بشكوال في وصف عبد اللَّه بن يونس حيث قال: ((من أهل طليطلة يكنى أَبَا مُحَمَّد كَانَ من أهل الْعلم وَالرِّوَايَة والتبتل وَالْعِبَادَة وَالْحج وَالْجهَاد والانحراف عَن الدُّنْيَا لَحِقتهُ سِعَايَة عِنْد الْمَنْصُور مُحَمَّد بْن أَبِي عَامر فِي صدر أَيَّامه من قِبَل عَامل بَلَده لانقباضه عَنْهُ فأسكنه قرطبة دون أَن يمد إِلَيْهِ يَده إِلَى شَيْء من نعْمَته ونشبه

1 فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد نصر الدين محمد عويضة، ج6، ص318.

2 ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ص308.

3 نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص95

4 دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، 145.

5 الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424 هـ، ج1، ص74.

وَكَانَ ذَا مَال وَاسع وعقار كَثِيْر))1، ومنه ما جاء فيمن وصف السعاية ضد ابن الخطيب حيث قال: ((فإن السعاية ضده لم تفتر، وذلك – حسبما يعتقد لسان الدين – كي يأمن أعداؤه عودته إلى الأندلس، ومال السلطان إلى رأي الوشاة والأعداء، فقام النباهي بإصدار فتوى توجب حرق كتب لسان الدين لأنها تنطوي على الزندقة فحرقت، وصودرت أملاكه، واستحثت السلطان المريني على تسليمه لإجراء العقوبة عليه بسبب الإلحاد فأبى))2، ووصف الدكتور محمود شيث محنة لسان ابن الخطيب فقال: ((وشعر ابن الخطيب في النهاية أن السعاية قد بدأت تحدث أثرها، وأن عطف مليكه قد فتر، وخشي العاقبة على نفسه، فعوّل على مغادرة الأندلس))3، ومن ذلك ما ورد في وصف القَاضِي أبي جَعْفَر بن برطال: ((قَاض توارث كل جلالة، لَا عَن كَلَالَة، أشرف بجيد فِي الْعَشِيرَة مخول، وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ مقاليدها من مَنْقُول ومتأول، إِلَى نزاهة لَا تعزها الْبَيْضَاء وَلَا الصَّفْرَاء، وحلم لَا تستهويه السّعَايَة))4.

فمصطلح السعاية كان له حضوره وشيوعه في تلك الأوساط السياسية المختلفة في الأندلس، وكان معول هدم، وشقاق أطاح بالكثير من العروش والممالك، وكذلك بين طائفة الكتاب، والقضاة، وغيرهم، من ضعاف النفوس، فهو ينطلق من عدة دوافع مادية ومعنوية.

دوافع السعاية:

يقصد بدوافع السعاية هنا، الأسباب التي دفعت كثيرا من الناس على مختلف صفاتهم ومراتبهم إلى التحلي بهذه الصفة الذميمة، المحرمة، والتي سببت في زوال أعظم نعمة في الدنيا، وهي العقيدة الصحيحة، التي يجب ألا يداخلها شك، وكذلك اليقين البين، وصادق الإيمان بالله، حيث شاع التحاسد، والتباغض، والتنافس غير الشريف، والركون إلى الدنيا، ونسيان فضل الله، واليوم الآخر، والغفلة، خاصة بعد فك رباط الخيل المعقود بالإيمان، وترك الجهاد، وتنكيس راية الإسلام، وخلود

---

1 التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله المحقق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، 1995م، ج4، ص234.

2 الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب، المحقق: إحسان عباس ط1، 1963، الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان، ص8.

3 قادة فتح الأندلس، محمود شيت خطاب، مؤسسة علوم القرآن – منار للنشر والتوزيع، ط1، هـ – 2003 م، ج1، ص177.

4 ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، محمد لسان الدين ابن الخطيب، المحقق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط1، 1980م، ج2، 418.

النفس إلى الدعة وملذات الدنيا، وهو الطريق الذي أفسح المجال واسعا للسعاية والنكاية، بين ضعاف النفوس، وأصبح الحسد هو الفيصل الذي شتت أخوة الدين الواحد، في السياسة والحكم، والأمر والنهي، وخيمت العصبية المقيتة، ((فالحسد، أَن يرى الرجل لِأَخِيهِ نعْمَة فيتمنى أَن تَزُول عَنهُ وَتَكون لَهُ دونه وَرُبمَا نازعه فِيهَا أَو سعى عَلَيْهِ فِي إفسادها وَهَذَا أَشد من المنافسة والتدابر))1.

الدافع السياسي:

ما من شك في وعورة توصيف هذه الزاوية الضيقة بشيء من الدقة، فهذا الجانب الغامض من تفاصيل حياة الساسة والملوك والأمراء والحكام يشوبه التعتيم، في الحكم على طبيعة الحياة السياسية وما يكتنفها من سعايات ودسائس ومؤامرات، كان لها دوافعها وإرهاصاتها المختلفة، التي أدت إلى الاغتيال السياسي، الذي هو ((ظاهرة استخدام العنف والتصفية الجسدية، بحق شخصيات سياسية كأسلوب من أساليب العمل والصراع السياسي ضد الخصوم))2، وهو الذي أطاح بكثير من العروش والممالك، لأسباب قد يكون منها: التراخي في القيام بواجب الحفاظ على أمور الحكم والبلاد والعباد، ومنها حب الرئاسة والتكالب على السلطة دون وجه حق، وكذلك عدم بلوغ سن الرشد في تولي زمام الحكم، وغيرها من الدوافع السياسية.

فالسياسة متأصّلة في نفوس المتطلعين إلى النفوذ والسلطة، على اختلاف الناس ومذاهبهم من أهل الكتابة والثقافة والدين، وكثير منهم قد لا يفلح في اختياره ؛ لأن السياسة ذات أوجه، فلا يستقر لها حال ولا يؤتمن لها جانب، فترتفع بصاحبها إلى أعالي المجد، وعنان السماء، وقد تجعله مثار استهزاء بين الناس، بل قد توصله في نهاية المطاف إلى حتفه، بالسعايات والدسائس والنكايات، والتاريخ يحتفظ لنا بأمثلة كثيرة من هؤلاء الرجال الذين تقلبت بهم عوالم السياسة من الفقر إلى المجد، ومن المجد إلى الاغتراب أو القبر، ومن يدرس تاريخ الأندلس من الفتح إلى السقوط تتضح له تلك الدوافع المهلكة التي زعزعت عرش الإسلام ومجده، بدوافع سبق ذكرها من واقع الحمية العصبية للعرق، والاعتزاز بالنسب، والسخط عن تولي من لم يوافق أمزجتهم، ويمثل أهواءهم، ولعل أبرز العصور التي شاع فيها هذا اللون من الانقسام، وصارت السعاية من ألوية الحكم هو عهد ملوك الطوائف، ((فقد انتهى عصر الحجابة وأمرائه من سلالة المنصور لكن الصراع كان قد بدأ، فقد تولد لدى كل أمير من الأمراء شعور

1. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الأزدي الميورقي، تح: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة،القاهرة،ط1، 1995، ص434.

2. أشهر الاغتيالات السياسية في العالم، هاني الخير، دار أسامة، بيروت لبنان، ط1، 1988، ص 7.

بأنه أولى الناس بالخلافة، وصار لكل أمير حزب أو طائفة مسلمة تؤيده وتسانده من البربر والصقالبة، وغيرهم من العرب))[1]. ولم يبق هذا الحال على تلك الوثيرة فحسب، بل أسفر قيام الطوائف عن تكريس الطائفية السياسية، فقد توزعت الأندلس إلى ثلاث مجموعات من المماليك، عربية، وصقلبية وبربرية، وجنح ملوكها إلى اتخاذ ألقاب لم يتخذها قبلهم غير الخلفاء2، وبدأت بعدها استقلالية الحكم في الأقاليم، وتعنت كل ملك وأمير بحيازة ما يحيط به من ملك، بل واستعان على أخيه بالنصراني الذي كان يستعذب تلك الفرقة القائمة بين الأخوة، ((لأن ملوك الطوائف دخلوا في حروب طويلة بعضهم مع بعض، وكل منهم يريد أن يوسع ناحيته على حساب الآخرين مستعينا في ذلك بقوات من النصارى يدفع لهم إتاوة حاسبا أنه يقيم بذلك ملكا لنفسه على حساب إخوته المسلمين، وتلك هي فترة الطوائف حقا التي انقسم الأندلس فيها إلى وحدات سياسية كثيرة كلها صغيرة وكلها عاجزة عن القيام بأمور نفسها وتدهورت الأمور في الأندلس كلها))[3]، وبهذا التدهور الذي ساد كل بقاع تلك الأرض الطيبة التي وطئها الأماجد ممن رفعوا راية الإسلام، ووحدوا أرضها، سرى الضعف والوهن، وبدأ الانشقاق نتيجة للدوافع السياسية التي ملكت نفس كل من أعزه الله بالإسلام، فذل بحب الدنيا وهوى النفس، فصارت الأندلس نتيجة لأهوائهم مثل رقعة الشطرنج، ميدان حرب، و تدافع، وقتال بين الإخوة، وهدمت معالم الدولة العظمي التي كان يطلق عليها الأندلس،((فالدولة تظل بخير ما ظل رجالها الذين قاموا بها وأرسوا دعائمها مخلصين لها، متفانين في خدمة المبادئ التي قامت من أجل تحقيقها، متجردين من الأنانية والاثرة والأطماع الشخصية، وعادة ما يبدأ الفساد يستشري في جسم الدولة القائمة إذا ما بدأ الفساد ينتشر ويسري بين كبار رجال الدولة وكبار ولاتها وعمالها، ومن هنا تبدأ الدولة القائمة رحلة السقوط))[4]، وقد كان ذلك جليا واضحا تباعا بسقوط الخلافة الأموية، والدولة العامرية، وملوك الطوائف وأخيرا بملوك بني نصر في غرناطة آخر معاقل الأندلس.

وكان المنفذ لهذه السعايات والمؤامرات والدسائس، ما يعرف بحركة الظل التي ملأت جنبات القصور من الرقيق والخدم، والإماء الذين يتحركون بحرية داخل تلك القصور، بل يتصرفون بحرية أكثر من

1 الأدب الأندلسي، ماريا خيسوس، ترجمة أشرف دعدور، المجلس الأعلى للثقافة، 1999، ط1، ص23.

2 القطوف الدواني في التاريخ الإسباني، د. عبادة كحيلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2011، ص102.

3 معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص416.

4 سقوط دولة الموحدين، مراجع عقيلة الغناي، كلية الآداب، جامعة بنغازي ليبيا، ط1، 1975، ص238.

غيرهم، فهم مهاد السعاية في الفضاء الخفي الذي هيأ شيوع هذا اللون السيئ من المكائد، والدسائس، التي هزت أركان ممالك وعروش الإسلام في الأندلس، ولعل سبب شيوعها واطرادها وهن الساسة، الذين استعانوا بهم فأوهنوا بيوتهم وعروشهم، وكان مجال الشقاق واسعا عبر ردهات الجدران وباحات القصور، بين الرقيق والجواري، ((فمن الطبيعي أن يقدم الأمراء والخلفاء على توظيف رقيق بلاطاتهم، القريب منهم، والمطلع على أحوالهم، في مجال خطير، كانت له انعكاسات خطيرة أيضا على المسار العام للدولة وهو الاغتيال السياسي، فقد شكل الرقيق أداة طيعة في يد رجال الدولة، يوظفونها في سبيل تصفية معارضيهم ومنافسيهم على السلطة، ورغم كون الاغتيالات من المواضيع الغامضة في التاريخ السياسي، فإن الأحداث التي تعقبها تكشف عن استخدام الرقيق بشكل جلي فيها، إذ غالبا ما انتهت حياة الذين كلفوا بها من الرقيق إلى القتل سعيا إلى طمس حقيقة مدبرها ودفنها))[1].

وقد اعتمد كثير من الملوك والأمراء على هذه الطبقة اعتمادا كبيرا، والغاية منها حسب اعتقادهم، كسر حدة العصبية التي وجدت بين الفاتحين، من العرب والبربر، حيث مكنوا الرقيق من مهام كبرى مكنتهم من تولي زمام أمور الحكم عند كثير من الأمراء والملوك، في الإدارة، وفي الجيش، وفي تفاصيل دقيقة تتعلق بأمور الدولة، كان وبالها ظاهرا، وآثارها بينة، في تعميق هوة السعايات، والانقلابات، والاغتيالات، وهو ما زعزع أنظمة الحكم عند كثير ممن شد عضده بالرقيق، والموالي، هذه الطبقة التي استغلت ضعف الساسة وقتئذ ((حيث كانوا موضع ثقة رجال السلطة وأسندت إليهم مناصب ريادية، إذ اضطلعوا بمهام القيادة العسكرية، والمدنية، إلى جانب الحجابة والوزارة، وشؤون المال))[2] مما كان له بليغ الأثر في سقوط كثير من الممالك، حيث أصبحوا في معظم الجيوش التي اعتمدها الملوك والأمراء في الأندلس بعد ارتكاسها وضعفها، ((فقد انخرط الرقيق في الحياة الاقتصادية والاجتماعية عبر مشاركتهم في نشاطاتها ومختلف قطاعاتها، كما توغلوا في الحياة السياسية والعسكرية عبر بروزهم قادة سياسين ورجال إدارة محنكين فضلا عن قيادتهم الجيوش))[3] خاصة من الموالي، والصقالبة، من غير العرب والبربر الفاتحين الذين أخذتهم العزة وضلوا في كثير من تواريخ عز المسلمين في الأندلس بعد تناحرهم وعصبيتهم، ((حيث تتعدد نماذج سعي السلطة السياسية إلى استقطاب الرقيق وتجنيدهم في صراعاتها المحلية، فقد ساند الرقيق علي بن حمود عند إعلان نفسه

1 الرق في بلاد المغرب والأندلس، عبد الإله بنلميح، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2004، ص498.

2 الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص503.

3 المصدر نفسه، ص124.

خليفة، ثم انقلبوا عليه، وانضموا إلى عبد الرحمن المرتضى الخليفة الجديد ودعموا اقتحامه العاصمة الأموية، غير أنهم تخلوا عنه، ودبروا مقتله))[1]، وقرر كثير من الملوك القضاء على هذه الحمية بولاء جديد يأتمر بأمرهم ولا تأخذهم تلك العصبيات التي شتت كيان المسلمين ((حيث يعتبر حضور الرقيق في بلاط الأندلس متميزا، تعبر عنه وفرته وأعداده، إلى جانب إسناد مهام خطيرة إليه، أبرزها الإشراف على شؤون القصور وتدبيرها، بما في ذلك شؤون الحريم، وبروز الاغتيال السياسي مهمة خطيرة أيضا، أسندت إلى الرقيق، باعتبار نتائجه في جعل حد لثورة، أو إقصاء أمير عن السلطة أو تغيير رأس السلطة السياسية نفسها))[2]، والأمثلة كثيرة على هذه الظاهرة الذميمة، ((فقد استظهر الأمير عبد الرحمن بن معاوية بالمماليك والبربر على حساب العرب))3، ومثله ما وقع مع سعيد بن الرشاش، وهو من أوائل العلماء الحافظين للغة العالمين بالشعر، وقد لحقته سعاية عند نصر الخصي حاجب الأمير عبد الرحمن فأمر بضربه، فغادر الأندلس))4، وثورة ابن حفصون التي حاول بها إشاعة التذمر في المولدين من القوط والنصارى على حكومة قرطبة للخروج عليها5، ومقتل الأمير محمد ابن الأمير عبد الله ثم مقتل أخيه المطرف، وذلك عندما كان المطرّف قد أكثر السعاية في أخيه محمد عند أبيهما، حتى إذا تمكنت سعايته وظهر سخطه على ابنه محمد لحق حينئذ ببلد ابن حفصون. ثم استأمن ورجع وبالغ المطرّف في السعاية إلى أن حبسه أبوه ببعض حجر القصر، وخرج لبعض غزواته واستخلف ابنه المطرّف على قصره، فقتل أخاه في محبسه وفتك بالوزير لعداوة بينهما، وسطا، به أبوه الأمير عبد الله وقتله أشرّ قتله ثأر فيها منه بأخيه محمد وبالوزير6، واستمر العد التصاعدي للبروز السياسي الصقلبي مع الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، فهو الذي بوأهم مكانة خاصة، ومهد لهم نحو القيام بأدوار كبيرة وخطيرة، وقد أفاضت المصادر في الحديث عن الدور الذي قام به كل من فائق وجؤذر خصيي الحكم المستنصر، اللذين حضرا وفاة الخليفة، غير أنهما كتما الخبر لينظرا في مصير

---

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ط1، 2006م، ص46.

2 الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص502.

3 المصدر نفسه، ص114.

[4] كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن الحسن الكتاني، تح: إحسان عباس، ط 2، 1981 م، دار الشروق، بيروت، ص290.

5 دولة الإسلام في الأندلس، ج2، ص328.

6 ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ج4، ص175.

الخلافة، وانتهى أمرهما إلى العمل على تحويل الخلافة عن هشام الذي كان طفلا في الثانية عشرة من عمره، رغم وجود عهد من الحكم المستنصر بذلك إلى عمه المغيرة، مع الاستمرار في بث الدسائس في قرطبة، ومعلوماتنا تزداد غموضا، حول ظروف حياة الرقيق في قصور السلطة، ونشاطاته وخدماته، لارتباط ذلك بالكيانات السياسية القائمة[1]، ثم جاء عهد الحاجب المنصور ولم يفتر فيه هذا الدور البشع من التنكيل والفتك بالخصوم، ومن لهم شأن بمقاليد الحكم، ((فقد قام حاجب الحكم أي رئيس وزارئه بكتم موت الحكم واستدعى أنصاره وأولهم محمد بن أبي عامر صاحب الشرطة والمواريث، وأفضى إليهم بما يدبر الصقالبة، ودعاهم إلى تأييد هشام واتفقوا على قتل المغيرة، وتولى قتله محمد بن أبي عامر فكانت تلك الجناية الشنعاء نذير شؤم على الأندلس كله))[2]، ((وما زال العرب يترقبون الفرصة للخروج على حكومتهم حتى قام ابن أبي عامر وزير الحكم بن الناصر، فأخذ بدهائه في التفرقة بين العناصر المتغلبة، من صقالبة وأتراك وبربر، ثم الإيقاع بهم شيئا فشيئا))[3]، ((استطاع المنصور ابن أبي عامر أن ينشر نفوذه في الجيش الأندلسي ليصبح أداة من أدواته خاضعا لمشيئته يحمي سلطانه وينفذ مأربه، ولتحقيق ذلك أدخل تطورا خطيرا في تكون الجيش الأندلسي التقليدي، وسيكون هذا معول هدم في تاريخ الأندلس، لتألف الجيش من طوائف مختلفة من العرب والصقالبة))[4]، ولم يكتف ابن أبي عامر بهذا بل دبر أمر إقالة منافسه في الحجابة جعفر بن عثمان المصحفي والقبض عليه وعلى ولده وآله، والتحفظ علي أموالهم. وبادر ابن أبي عامر إلى محاسبتهم واستصفاء أموالهم، واستطالت محنة المُصْحفي أعواماً، حتى توفي سنة 372 وقيل إنه قتل خنقاً في مطبقه، وقيل إنه دست إليه شربة مسمومة كانت سبب وفاته5، أما في زمن عصر ملوك الطوائف فقد ازداد الأمر سوءا، وتفشى أمر هذه السعاية، وأزهقت الكثير من الأرواح ظلما وعدوانا ببطش الرقيق والخدم، والجواري، بعد أن أطبق مطمح الطمع في الحكم بين الأمراء والملوك، ((فقد أخذ ملوك وأمراء الطوائف يغير الواحد منهم على ما بيد الآخر طمعا، فكان ذلك سببا في ضعفهم، و ضعفت فيهم

1 الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص489.

2 معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص390.

3 محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها، علي مظهر، المكتبة العلمية، مصر الجديدة،1947، ط1، ص9.

4 التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثر على سقوط الأندلس، سامية مصطفى مسعد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، /ط1، 2004، ص135

5 دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص53.

الحمية الدينية والعصبية القومية فكان جزاؤهم أن فقدوا ذلك الفردوس البديع : بلاد الأندلس الخصيبة))[1]، واستمرت فكرة الاغتيالات والمؤامرات والسعايات في تلك الدويلات الضعيفة التي لفظت أنفاسها بتوحش النصارى وفشو مبادرة استرداد الأرض، في غفلة من المتخاصمين، ((ففي أندلس دويلات الطوائف لدينا إشارات إلى توظيف الرقيق في الاغتيالات، ويبقى أبرز مثال لذلك مقتل الأمير الحمودي على يد علي بن حمود الذي أجمعت المصادر على موته على يد صقالبته في الحمام بمدينة قرطبة، والتي جعلت المؤرخين يشخصون وضعية الأمراء بقولهم : وإنما همة أحد هم كأس يشربها وقينة يسمعها، فغير خاف أن كثرة الرقيق والجواري هي التي أهلتهم في أحداث العصر، سواء تدبيرا أو مساهمة في الدسائس التي كانت تعرفها هذه البلاطات)) [2]، وبعد ذلك الفشل الذريع وتساقط الممالك واحدة تلو الأخرى، واحتدام الخطر الداهم بزوال هذا الملك، الذي كان في مخيلة السلاطين، ومع ظهور سلطان المرابطين، بقيادة يوسف بن تاشفين، وما عرف به من شدة البأس، وتعامله مع كثير من الأمراء والملوك وعلى رأسهم المعتمد بن عباد الذي كان يثني عليه وعلى بسالته، حتى أظلم ما كان بينهما: ((فقد لعبت السعاية والوشاية في علائق الرجلين دوراً لا يحمد، وأثارت في قلب يوسف أمرّ ضروب السخط والبغض ضد المعتمد))3، وهذا ما أدخل الخوف في قلوب كثير من الأمراء والسلاطين، فقد ((ارتاب ابْن الأحمر بمكانه من يُوسُف بن تاشفين فغص بمكانه وأظلم الجو بَينهمَا وَلم تزل القوارص بَين السلطانين تجْرِي وعقارب السّعَايَة تدب وتسري))[4] وحاول المرابطون نجدة تلك الأوطان، وصد عدوان النصارى الذي بدأ يلوح في الآفاق، وبدا سلطان المرابطين قويا في أوله ولكن سرعان ما نخره شر السعاية، والمضي إلى محاولة تفكيك هذه القوة، من الداخل قبل الخارج، في قلب الأسرة ((فيحكى أن سير زوجة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، وأم ولده وتدعى قمر، برز دورها في الحياة السياسية عندما حاولت صرف ولاية العهد من تاشفين بن علي إلى إسحاق و ظهورها على الساحة السياسية ينبيء بوجود مكانة خاصة لها))[5]، وامتد الصراع أيضا إلى زمن الموحدين، وكانت

1 محاكم التفتيش، ص10.

2 الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص50.

3 دولة الإسلام في الأندلس، ج2، ص325.

4 الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، المحقق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج3، ص49.

5 الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص494.

الظروف شبيهة بما مر من تلك السنوات الكؤود، ((فمؤسس دولة الموحدين كان من عظماء شخصيات التاريخ الذين يشهد لهم بقوة الشخصية وصلابة الشكيمة، وبعد النظر، والحنكة السياسية، التي تبلغ حد العبقرية، إلا أنه على الرغم من ذلك قد ابتدأت المؤامرات تحاك في بلاطه ومن وراء ظهره))1، كما برز رقيق البلاط الموحدي في مرحلة ضعف الدولة، فقد كتمت حبابة جارية المأمون وزوجته خبر وفاته، وسعت إلى توطيد الأمر لابنها الرشيد، وهو ما نجحت فيه إلى حد كبير، فقد أبلغت رجال الدولة المقربين بالخبر، ونظمت عملية تقديم البيعة لابنها وهادنت روم العاصمة مراكش بأموال حتى لا يعترضوا طريقها وهي إجراءات وتدابير لم تكن لتوفق فيها لولا المكانة التي كانت لها، ولولا معرفتها بشؤون القصر وخباياه[2]، ومازال الحال كذلك حتى ضاقت الأرض بما رحبت على أهل الأندلس، وتحصنوا في معقلهم الأخير في غرناطة، التي جمعت عصارة الثقافات، والحضارة الزاهرة في حياضها، وصمدت قرنين ونصف تقريبا، في عهد الدولة النصرية، التي تعاقب ملوكها وسلاطينها الأقوياء على حكمها، إلى أن دب فيهم شر السعاية، والدسائس التي هدمت سلطانهم، دون بينة، أو لقلة الدين، والانتصار بالنصارى، وليس أدل على ذلك ما فعله الغالب بالله((في مداراة فرديناند الثالث للاحتفاظ بمملكته، وكان يدفع له ضريبة سنوية، ويساعده في حروبه حتى ضد المسلمين))[3]، وهي بداية الانحسار في حكم تلك الديار، واستعداء النصراني، ((فقد يجوز أن يكون للمبلغين في السعاية بلاغات محرفة، واختلاقات مزخرفة، تثير بسعيها حرجا))4، والتاريخ يحفظ لنا العديد من الأمثلة على هذه الصفة الذميمة التي سببت الفرقة بين الإخوة، وأبناء العمومة في بني نصر، وقد ثبتت العديد من الاغتيالات السياسية، **مثل اغتيال السلطان إسماعيل بن فرج – أبو الوليد،** هو خامس ملوك غرناطة من بني الأحمر. وقد يكون أعظمهم على الإطلاق . انتزع الملك من خاله المسمى أبو الجيوش نصر، رابع الملوك، وكان ضعيفا، إن هذه السلسلة من الاغتيالات قد ساعدت كثيرا على بتر الخطط الاسترجاعية لحكام غرناطة ووفرت للإسبان فرصا جيدة لتعزيز قدراتهم، وكذلك استمرت الحال إلى أواخر عهد بني نصر ومعلوم ما طرأ على أديب الأندلس ومؤرخها ووزيرها لسان الدين بن الخطيب، ذلك الرجل الذي ارتفع شأنه، فملك زمام السيف والقلم، وكذلك الخلاف الذي وقع الأمير

1 سقوط دولة الموحدين، ص239.

2 المصدر السابق، ص495.

3 أمين الطيبي، مجلة البحوث التاريخية، ليبيا، العدد الأول، 1979، ص59.

4 الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ج5، ص269.

الشجاع الزغل الذي فر من السعاية فيه إلى فاس،((واعتبره ملك المغرب خائنا، وحمله المسؤولية في فقد المسلمين الأندلس، فزج به في غياهب السجن وصادر ثروته الطائلة، وعذبه حتى فقد بصره ثم أطلق سراحه، حاملا على ظهره رقا مكتوبا عليه، هذا سلطان الأندلس البائس))1، وكذلك ما وقع من سعاية في عهد عرش بني نصر بين الزغل محمد بن سعد وأبي عبد الله الصغير وقد قاما باقتسام مملكة غرناطة حيث: ((تصارعا في مملكة غرناطة الهزيلة الضعيفة المحاطة في الشمال بمملكتي قشتالة وأراجون، فاستعان أبو عبد الله محمد الزغل بملك قشتالة لأجل أن يحارب أخاه الغالب بالله، وبالفعل تمت الاستعانة ودارت موقعة بين الأخوين، ثم اصطلحا على تقسيم غرناطة، فصار الجزء الشمالي منها والذي هو ولاية غرناطة الرئيسية تحت حكم الغالب بالله، والجزء الجنوبي والذي هو ولاية مالقة تحت حكم الزغل وهكذا انقسمت غرناطة إلى قسمين))2 ((فلما قام فريناند بمحاصرة غرناطة فجع المسلمون الذين كانوا لا يزالون يتذكرون بطولة الزغل بأن رأوا علمه يرفرف بين أعلام نبلاء النصرانية عند أسوار المدينة، فقد انضم الزغل على رأس حرسه إلى جيش النصارى لمحاصرة غرناطة بدافع من الكره والحقد لابن أخيه أبي عبد الله الصغير))3.

دافع التغرير والكيد:

هذا الدافع طال كثير ا من العلماء والفقهاء والأدباء، فوَقع التغرِير عليهم والخداع لهم من بعض ضعاف النفوس، فكادوا للكثير من أهل الفضل والدراية وغرروا بهم، بالظن، وإيهام الناس بما ليس فيهم، فقد امتد الصراع في ربوع الأندلس، وشمل كل جوانب الحياة، السياسية، والعلمية، بل شمل أيضا حتى العلماء والفقهاء، الذين هم عماد الممالك والدول، فلم يكن أمر الدين هينا، فهو منطق العدل، وإقامة الحق، وملاذ المظلومين، إذا صلح، صلح المحكوم والحاكم، وإذا فسد أهله ساد الجور، وانتهكت الحرمات، وقد كان لقداسة أمر الدين وعلمائه المكانة العالية عند كثير من الخلفاء والأمراء والملوك في الأندلس، وكانوا محط أنظار في تسيير أمور الحكم، بهم يأتمر الحاكم والمحكوم، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من منهج المصطفى الكريم عليه السلام، وفيه إكراهات قد لا يستطيعها إلا الأصفياء الأتقياء .

1 سقوط غرناطة، ص 11.

2 الأندلس من الفتح إلى السقوط، راغب الحنفي راغب السرجاني، ص11.

3 سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس، واشنطون إيرفينج، تر: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1988، ص11.

محنة الفقهاء والعلماء:

لقد توالت النوازل والمحن في ربوع الأندلس، بسبب السعاية التي دمرت الثوابت والعقائد، عند من تلبست نفوسهم بالدنيا وزخارفها، بعد أن كان الإسلام في أول عهد الفاتحين قويا يلامس قلوبهم، وتتلوه ألسنتهم، وبه استقرت أقدامهم، وفتحت الأمصار، ولكن سرعان ما اختلفت تلك النظرة واتهم كثير من رجال العلم والدين والفقه، بأمور كيدية، وسعايات مغرضة غايتها النيل من سمعة أولئك العلماء الأفذاذ، والحد من نشاطهم الفكري والدعوي، وهذه دوامة أخرى من دوامات الموت المبكر في تاريخ الأمم، وقد ظهرت آثارها السيئة في الأندلس في فترات متعاقبة، ((فهو صراع آخر جديد انبثق من بين العرب أنفسهم ألا وهو صراع الفقهاء وعلماء الدين عامة في عصر الأمير الحكم))[1]، ولم يبق شر هذه السعاية والدسائس في نطاقه المحدود المتمثل في محاربة الفقهاء وأهل الدين الذين يصدعون بالحق، بل امتد إلى مذاهبهم، وأفكارهم، وبدأت ملاحقتهم بالتهم والسعايات الكيدية، التي حكمت عليهم بالموت، وعلى مؤلفاتهم بالحرق، بل يزيد على ذلك تتبع تلامذتهم، فقد ((انتشر الفقهاء ببلاد الأندلس على مذهب مالك وأصبح الفقهاء يدورون حول المدونة وكتاب آخر ألفه العتبي الأندلسي، وضاقت الدائرة فأصبحوا يكرهون الحديث، وجاء بقي بن مخلد ليملأ الأندلس حديثا ورواية وانفرد بإدخال مصنف ابن أبي شيبة وكتاب الفقه للشافعي، فأنكر عليه أصحابه الأندلسيون ما أدخله من كتاب الاختلاف وغرائب الحديث وأغروا السلطان به. غير أن السلطان أيده في موقفه، وكان منهم من اتبع المذهب الأشعري كأبي الوليد الباجي الذي ناظر ابن حزم، فالأندلسيون كانوا يعادون كل جديد عليهم حتى أنهم ثاروا على بقي بن مخلد، ونسبوه إلى البدعة، ورموه بالإلحاد، والزندقة، وخاطبوا الأمير محمدا في شأنه، واضطر بقي إلى أن يتيسر خوفا على دمه. ووسم الفقهاء الأندلسيون كل من درس الفلسفة والمنطق وكتاب المجسطي بالزندقة وحرضوا عليه العامة. وتعقبوا أهل القدر من اتباع ابن مسرة واحرقوا كتبهم واستتابوهم وقد أراد ابن حزم ان يحطم الحاجز القائم دون دراسة المنطق والفلسفة، فعرض نفسه لهجوم الخصوم، ولقي اضطهادا كثيرا أدى إلى حرق كتبه. ووقع الطلمنكي الفقيه في محنة أخرى إذ شهد عليه خمسة عشر فقيها من فقهاء سرقسطة بانه حروري سفاك للدماء يرى وضع

1 دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، أحمد إبراهيم الشعراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، ص221.

السيف على صالحي المسلمين ويعمل بخلاف السنة وكان الحسد بين رجال الدين من الأسباب التي تضيق الحرية العلمية[1].

وكذلك ما وقع مع ((محمد بن موهب بن محمد التجيبي القبري، وكان فقيها، عالما، وطالع علوما في المعاني والكلام، ورجع إلى الأندلس في أيام العامرية فأظهر شيئا من الكلام: في نبوة النساء ونحو هذه المسائل التي لا يعرفها العوام، فشنع بذلك عليه فاتفق له بذلك أسباب اختلاف وفرقة، وتوفي سنة ستٍّ وأربع مائة، بعد محنة نالته من ابن أبي عامر))[2]، فهذه أحوال بعض رجال الدين من العلماء والفقهاء، وأهل الحديث، لم تكن بمعزل عن فتنة السياسة، والسعاية، لاعتبارات معنوية، ومادية، يغلب عليها الهوى، وشر النفس، والشيطان، ((وشر ما يطرأ على هذه المعاقل من الوهن أن تؤتىَ من بعض الذين وُكِلَ إليهم حمايتُها والدفاع عنها حين يخونون الأمانة، فيتسللون متلصصين إلى الأبواب يفتحونها للأعداء المهاجمين بِلَيْلٍ، والحماة الساهرون في غفلة لا يشعرون))[3]، وفي كثير من الأحيان لا ينظرون إلى شر التعصب لمذهب، أو لعرق وغيرها من الأسباب التي أضعفت كيان الدولة الإسلامية في الأندلس وفي الأمة جمعاء.

محنة الأدباء والشعراء:

لم تكن أحوال الأدباء والشعراء بمعزل عن تلك الأحداث الدامية، فقد تنكر العديد من الأمراء والملوك للشعراء والأدباء، وتوسعت دائرة السعاية فيهم، ولم يشفع لهم ما كانوا يبثونه من آهات وشكوى استرضاء واستعطافا، ومنهم من امتحن بسبب تعاطيه لفنون المنطق التي كانت تعد من الزندقة، فقد امتحن ((أبو عثمان السرقسطي الملقب بالحمار، سعيد بن فتحون بن مكرم التجيبي: المشهور في نسبته أنه سرقسطي، ونسبه ابن عبد الملك إلى قرطبة، كان متحققاً إماماً في علم النحو واللغة، ولكن ثقافته العلمية المنطقية غلبت عليه، وله شعر في الجذوة يدافع فيه عن كتاب المنطق، وفي أيام المنصور بن أبي عامر نالته محنة شديدة أدت إلى سجنه مدة، فلما أطلق سراحه هاجر إلى جزيرة

---

[1] تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960، ص27.

[2] الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، 1955 م، ج1، ص471.

3 حُصُوُننا مهدَّدة من دَاخِلِهَا، ص18.

صقلية وتوفي فيها))1 ومنهم من حكم عليه بالتعذيب والقتل أمثال الأديب الشاعر أبو الفتوح الجرجاني، الذي تم سجنه لسوء فهم وتقدير، وتعذيبه من قبل خادم يدعى قداح ((فقد سجن الأمير الزيري بسعاية من أحدهم، أديبا مشرقيا وفد على حاضرته، يدعى أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني قبض عليه وسجنه بالمنكب عند قداح عبده وصاحب عذابه، وكان لقداح هذا سطوة كبيرة وحاشية عرفت بزبانية قداح تولت التنكيل بأبي الفتوح))2

ومنها أيضا المحنة التي وقعت مع ابن عمار، وزير المعتمد بن عباد، عندما سولت له نفسه، أن يستقل بحكم إحدى المدن النائية، بعيداً عن سلطان مليكه، وعمد بالفعل إلى حكمها، حكم أمير مستقل، وتجاهل أوامر ابن عباد ورغباته، وأخذ يدس الدسائس بين الأمراء، ولكن هذه المغامرة لم يطل أمدها ((فقد اجتمعت العوامل السياسية والشخصية، لتؤكد محنة ابن عمار، وقد وجه ابن عمار من سجنه إلى المعتمد قصائد في الاستعطاف تذيب الجماد، أو على قول ابن الخطيب "تعالج بمرامها جراح القلوب، وتُعَفِّي على هضبات الذنوب، لولا ما فرغ عنه من القدر المكتوب، والأجل المحسوب"، ومن أشهرها تلك القصيدة المؤثرة التي تهز أوتار القلوب، والتي مطلعها:

سَجَاياكَ إِن عَافيتَ أَنْدَى وَأَسمحُ وَعُذْرُكَ إِن عَاقبتَ أَجْلَى وَأَوضحُ3

وما محنة ابن الخطيب عنا ببعيد، التي تولى كبرها النباهي وابن زمرك، بسعاية مقيتة بدافع الحسد والكيد، للتغرير به مع مليكه، وقد فطن لسان الدين ابن الخطيب لهذه السعاية والمؤامرة ضده ففر إلى المغرب التي كانت نهايته فيها بقتله : ((وشعر ابن الخطيب في النهاية أن السعاية قد بدأت تحدث أثرها، وأن عطف مليكه قد فتر، وخشى العاقبة على نفسه، فعوّل على مغادرة الأندلس، وسار إلى الثغور الغربية في نفر من خاصته بحجة تفقدها، فلما وصل إلى جبل طارق عبر البحر فجأة إلى سبتة (773 هـ) وغادر ابن الخطيب الوطن والأهل والسلطان، بعد أن تربع في الوزارة للمرة الثانية زهاء عشرة أعوام. وخلفه في الوزارة تلميذه ابن زَمْرك، وكان قد انقلب عليه في أواخر أيامه، وغدا من خصومه ومن أشدهم سعياً إلى نكبته.))4 ((فالسعاية ضده لم تفتر، وذلك – حسبما يعتقد لسان الدين

1 كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، أبو عبد الله الكتاني، مقدمة المحقق: إحسان عباس ط 2، 1981 م، دار الشروق، 39.

2 الذيل والتكملة، ابن عبد الملك المراكشي، ص422.

3 دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1997،1 م ج2، ص68.

4 دولة الإسلام في الأندلس، ص145.

– كي يأمن أعداؤه عودته إلى الأندلس، ومال السلطان إلى رأي الوشاة والأعداء فقام النباهي بإصدار فتوى توجب حرق كتب لسان الدين لأنها تنطوي على الزندقة فحرقت، وصودرت أملاكه، واستحثت السلطان المريني على تسليمه لإجراء العقوبة عليه بسبب الإلحاد فأبى "1، وقد وقعت سعاية مقيتة مع الشاعر المبدع ابن زيدون، بتدبير من وزير ابن جهور أبو عامر ابن عبدوس فقد ((هام ابن زيدون في شبابه بولادة أيام خدمته لبني جهور، وتوثقت علائقه بها مدة من الزمن، ونظم في حبها طائفة من أروع قصائده، ثم ساءت العلائق بينهما، وهجرته ولادة وهو يستعطفها بقصائد مؤثرة. وكان ينافسه في ودها رجل من سراة قرطبة يدعى أبو عامر بن عبدوس تزوجته ولادة فيما بعد، وانتهى الأمر بأن زج ابن زيدون إلى السجن إما لريبة علقت بولائه لابن جهور، أو نتيجة لمكيدة دبرها له خصمه ومنافسه ابن عبدوس. وقد وجه ابن زيدون إلى منافسه وخصمه ابن عبدوس هذا، رسالة لوم وتقريع على لسان ولادة، تفيض بألوان مؤلمة من التهكم والتشبيهات، والمقارنات، ثم فر ابن زيدون من سجنه، وغادر قرطبة إلى إشبيلية وذلك في سنة 441 هـ (1049 م) والتحق ببلاط المعتضد بن عباد، وخدمه وعلت مكانته لديه))2، وغيرهم كثير من الأدباء والشعراء الذين امتحنوا وجرت فيهم السعايات كابن مجبر، وأبي العباس الجراوي، وابن شرف، وابن رشيق.

دافع العصبية:

هذا الدافع من أشد الدوافع عمقا، وتأثيرا في مجال السعاية، وتكاد تقوم عليه أسباب انهيار وهدم عروش وممالك الإسلام في الأندلس، وقد تعددت أحواله، ما بين اختلاف العرق، والأصالة، والنسب، والدين، والسلالة التي تنحدر منها تلك الطوائف، فقد لعبت السعاية دورها الخطير في هذا الجانب أيضا، وهو دافع قد قام الإسلام بمحوه، وذم حدوده، بالتعاليم الإسلامية السمحة التي رسخها رسول الهدى عليه الصلاة والسلام، ولكن نتيجة لضعف كثير من النفوس، وعدم تشبعها بتلك التعاليم، بدأت تتغذى بالعصبيات، مع وجود المنصفين الذين حاربوا مثل هذه المتاهات الوجدانية الهدامة، وصدق ابن سعيد حيث قال: ((يعلم الله تعالى أني ما أقصد إلا إنصاف المنصفين الذين لا يميل بهم التعصب، ولا يجمح بهم الهوى، ولكن الحق أحق أن يتبع))3، والحق وقعه شديد على نفوس من لا يعرفه، وهكذا

1 الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس،ط1، 1963، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ج1، ص8.

2 المصدر السابق، ج2، ص426.

3 نفح الطيب في غص الأندلس الرطيب، ج1، ص152.

ظلت العصبيات تشيع وتحرق رايات الحق، لتسد الفراغ السائد في الأندلس، من واقع النداءات التي أشعلت لهيب النيران والفتن والحروب في مجتمع اختلفت كل أجناسه، بعد أن وحدهم الإسلام، وآخاهم، حيث حدثت انقسامات كثيرة في الأندلس، بين العرب والبربر، ثم حدثت انقسامات بين العرب أنفسهم، فحدثت انقسامات بين المضريين والحجازيين، وحدثت انقسامات بين العدنانيين والقحطانيين، فكانت هناك حروب وخلافات وشقاقات كثيرة بين أهل اليمن وبين أهل الحجاز، ثم حدثت انقسامات أخرى بين أهل الحجاز أنفسهم، أي: بين الفهريين والأمويين، وبين بني قيس وبني ساعدة، وهكذا انقسم أهل الحجاز أنفسهم بعضهم على بعض، وكخطوة لاحقة لأمر حب الدنيا وظهور العصبية ظهر أمر جديد وهو تولي ولاة ظلموا الناس، وألهبوا ظهورهم بالسياط1، فظهر التنكر والتذمر، وأخذت السعايات والدسائس تسود في هذا((المجتمع الجديد الذي جمع الإسلام شمله ومزج بين عناصره، يجيش بمختلف الأهواء والنزعات، وتمزقه فوارق الجنس والعصبية. كانت القبائل العربية ما تزال تضطرم بمنافساتها القديمة الخالدة، وكان البربر الذين يتألف منهم معظم الجيش، يبغضون قادتهم ورؤساءهم العرب، وينقمون عليهم استئثارهم بالسلطةّ والمغانم الكبيرة، واحتلالهم لمعظم القواعد والوديان الخصبة، وكثيراً ما رفعوا لواء العصيان والثورة))2، وامتد هذا الأمر إلى كل العصور التي ازدهرت فيها الأندلس ثم تفرقت على هذه العصبيات، وهناك من حاول إخماد هذه العصبيات والفتن بتفريقها، وعدم الاعتماد عليها حتى تتناقص العصبيات، ومنهم المنصور بن أبي عامر الذي ((سحق كل سلطة محلية، وبالرغم من أنه ينتمي إلى بيت من أكرم البيوتات العربية، فإنه عمل على سحق العصبية العربية، وعمل في نفس الوقت على سحق عصبية الفتيان الصقالبة، ولم يستبق منهم إلا أقلية مخلصة. وآثر أن يعتمد في الجملة على ولاء البربر))3، محاولة منه أن يعمل التوازن بتحجيم جماعات المولدين ومنهم الصقالبة، وجماعات المتعربين، فهؤلاء كانوا في نضال مستمر ضد العرب الذين يترفعون عليهم 4، والشواهد على هذه النعرات العصبية كثيرة، وحفلت بها كتب التاريخ الأندلسي، منذ أن بدأت معالم الاستقرار في الأندلس، وتحددت مهام الأمراء والخلفاء، فكل واحد من الفاتحين اعتد بالمنزلة التي نافسه عليها الآخر، وأصبحت مثار صراع وسعايات، ((وما ينبغي لنا أن نغفل عن هذا الدرس الماثل أمام

1 الأندلس من الفتح إلى السقوط، راغب الحنفي راغب السرجاني، ج4، ص8.

2 دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص67.

3 المصدر نفسه، ج2، ص12.

4 دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، أحمد إبراهيم الشعراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، ص221.

أعيننا إن غفلنا عما حفظه التاريخ من دروس ومن عظات. يجب أن نعرف معرفة اليقين أن المتقدم لا يغني عنا شيئاً إذا دبّ فينا دبيبُ الخلاف، فتفرقت بنا السبل وتوزعتنا الأهواء والآراء، ومزقتنا الدعوات المتنافرة التي ينقض بعضها بعضاً))1، فالفرقة والعصبية المقيتة كانت سببا في استعداء النصارى وغلبتهم، حيث ضاقت أنفسهم ليس في الأعراق والأصول فحسب، بل امتدت عصبيتهم أيضا ومست أمور الدين والعبادة ((فنظراً لتأصل العصبية في المجتمع الأندلسي، فقد كان السبب في اندلاع الفتنة بين المولدين والعرب في استجه زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط يعود إلى رفض المولدين الصلاة خلف إمام عربي،))2، ومثله ما وقع مع محمد بن سعيد السري الأموي، وهو من أهل قرطبة له مؤلفات كثيرة وكان من المجاهدين((حدث عنه أبو عبد الله بن عبد السلام الحافظ، وقال: قدم علينا من طليطلة مجاهدا، وحدث عنه أيضا أبو حفص الزهراوي وذكر أنه وأجاز له وامتحن في العصبية مع محمد بن أبي عامر وأخرجه عن قرطبة؛ ثم عاد إليها. وكانت العامة تعظمه، قتلته البربر يوم دخولهم قرطبة، وقد كان استقبلهم شاهرا سيفه يناديهم: إلي. إلي يا حطب النار. طوبى لي إن كنت من قتلاكم. حتى قتلوه رحمه الله يوم الاثنين لستٍّ خلون من شوال سنة ثلاث وأربع مائة))3، وكذلك يعظم دافع العصبية في مسيرة أبي الخطار، الذي تميز بشجاعته وعدله، واستطاع أن يجمع الشمل بين القوى المتصارعة إلا أنه وقع في العصبية عندما اشتدت بعض الفتن حيث ((سلك في البداية سبيل الحزم والاعتدال، وسوى بين جميع القبائل في المعاملة، فرضى الجميع واجتمعت الكلمة على تأييده وطاعته، وسكنت الفتنة واستقر النظام حينا. ولكن نزعة العصبية ما لبثت أن حملته كما حملت أسلافه من قبل، فمال إلى قومه اليمانية، وتنكر لخصومهم من المضرية، واضطرمت الأحقاد))4، وهكذا ظل دافع العصبية المقيتة مسيطرا على تلك الأمم المتعاقبة حتى انحسر ربيع الأندلس وقرطبة، وبدأت الصرخات تتنادى بلا جدوى فقد تقرفوا فتمكن منهم العدو، لفرقتهم، وعصبيتهم لأمور دنيوية زائلة، وما أشبه الليلة بالبارحة، فيما نعيشه اليوم من فرقة، وتربص من أعداء الدين!

---

1 حُصُوُننا مهدَّدة من دَاخِلِهَا، محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1983 م، ص18.

2 نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، سالم بن عبد الله الخلف، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ/2003م، ج2، 73.

3 الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج1، ص154.

4 دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص126.

القسم الثاني: آثار السعاية

سوف نظهر في هذا القسم بعض الأمثلة الموضحة لهذه الصفة المذمومة في مجالي السياسة والأدب، وهذا النماذج هي من قبيل التذكير، وأخذ العبرة من واقع الحياة التي تتشكل في كل الأزمان، ((فلا يزال أصحاب الباطل ماضين في اتخاذ هذا الأسلوب نفسه جيلًا من بعد جيل، يزحفون ويزحفون، حتى يسدّوا على الناس كل سبيل للحق، أو يفتح الله باباً من أبواب رحمته فيبعث عليهم من ينكّل بهم ويقطع دابر ما يثيرونه من فتن))1، ففتنة السعاية بدأت معالمها تظهر مع بداية عصر الإمارة، وانتهاء بسقوط دولة بني نصر في غرناطة، فلا يشك أحد أن هذه الفتنة وما جرته على أمتنا الإسلامية في مغربها ومشرقها، كان لها الآثار العميقة، التي وقفت دون تقدم هذه الأمة وانطلاقها نحو بناء وترسيخ مبادئها السمحاء، فقد منيت هذه الأمة بمرجفين ومغرضين، حكموا أهواءهم الدنيوية على نورانية الدين ومآله في النعيم المقيم، واستبدوا وظلموا الخلق، وأفسدوا الزرع والضرع، فكانت عاقبتهم وخيمة، لضيق أفق تفكيرهم، فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

شيوع القتل بالباطل والملاحقة:

حيث كان من آثار هذه السعاية، التفنن في طرق الاغتيال، وقتل النفس بالباطل، وتعددت أسبابه، وأشكاله، فعرف ما يسمى بالتدمية البيضاء، والتدمية الحمراء، وقد نتج عن التدمية البيضاء سعايات ودسائس دمرت العديد من الممالك والعروش، والقصد من التدمية البيضاء هو الإساءة إلى الناس عامة، وأهل الفضل والعلم والصلاح خاصة، وذلك عندما تبرز مكانة أحد العلماء عن غيره، فتدور الأعين بهمزه ولمزه، وتلوكه الألسن بما يكره في غيابه فتكون سببا من أسباب السعاية، التي تؤذي ذلك العالم وتقصيه عن غاياته ومراده، فيتعرض للإقصاء وربما القتل، أو السجن، والتدمية البيضاء من الأمور الغيبية التي لا ترى، ولكن شرها مستطير، ولا يمكن أن تبنى عليها أحكام شرعية، كما جاء في قول الشّيخ أبي القاسم عبد الخالق السّيوري: ((فقد خالف المذهب في التدمية البيضاء وقال: لا يعوّل عليها))2، ولكن أذاها جلي واضح، أحكم دائرة الصراع بين الساسة، والعلماء، والأدباء، وكذلك دارت الدائرة بأصناف الويل والعذاب، والتنكيل بسبب السعاية المقيتة، وكان من أبرز آثارها التدمية الحمراء التي تكون من واقع إهراق الدماء، إما بالطعن أو غيره ممن يصدر عنه الدماء ومنها أخذ هذا

1 حُصُوُننا مهدَّدة من دَاخِلِهَا، ص10.

2 نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقديش، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1988 م، ج2، ص278.

المصطلح وسمي بالتدمية الحمراء، والتي هي التعدي على الآخرين بالسلاح والإجرام في حقهم، مما يفضي إلى الموت وقد اختلفت أحكامه بين المشرعين والقضاة، ما العمد وغير العمد، ((وكان أبو إسحاق رحمه الله تعالى يقول في التدمية إنها لا تجب حتى يكون بالمجروح جرح لا يفعله أحد بنفسه))1، ولم تقف هذه الاغتيالات عند التدمية الحمراء فحسب، بل تعدت هذه بأمور أخرى كالتسميم والخنق، وكذلك التعامل مع الروحانيات والسحر، وهو مسلك يلجأ إليه ضعاف النفوس ممن فتر دينهم، واختل إيمانهم، فتحاك الأراجيف والسعايات لتزهق الأرواح بغير وجه حق، مثل ما مر بنا آنفا مع أبي الفتوح، وغيره من الأدباء والسياسيين كابن الخطيب الذي لقب بذي الوزارتين، وذي الميتتين، وذي القبرين، حيث تم الإفتاء بقتله لأجل علمه وكتبه، وتم خنقه، ثم تسميمه، وقتله وحرقه2.

الهزيمة النفسية:

لقد أصبحت الهزيمة بكل أشكالها من أبرز آثار السعاية، والصراع والتدافع الذي زعزع دفة الحكم وأروقته في الممالك الأندلسية، فتجد هذا الأثر جليا واضحا عند من حاول أن يدافع عن دينه وعرضه، ولم يتلوث بمتاع الدنيا، فكانت الهزيمة النفسية من التشظي الذي حل بالأمة التي ملت تلك الديار ثم خرجت مطاردة مهجرة مهانة، تستجدي أعداء الله والإسلام في الإقامة، بل بلغ بها الذل إلى دفع الجزية في صغار وذل وقهر، وقد تتابعت تلك الآثار السيئة لتعم سائر هذه الأمة التي ركنت إلى الدنيا ونسيت ما أعزها الله به ألا وهو ميثاق الدين العظيم، ونجد هذه الزفرات المكلومة على ألسنة أهل الدين والعلماء وكذلك على ألسنة المقهورين من الملوك والأمراء، ولعل آخرها تلك الدموع الحرى التي ذرفها عبد الله الصغير عندما سلم مفاتيح قصر الحمراء مهانا وقد ((تحرك الركب نحو منطقة البشرات وفي شعب من الشعاب المطلة على غرناطة وقف أبو عبد الله الصغير مودعا لمدينته وملكه، فاجهش بالبكاء على هاتيك الربوع العزيزة، فصاحت به أمه عائشة الحرة:
ابك مثل النساء مُلكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال))3.

---

1 الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي ابن فرحون، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة،ج1، ص269.

2. 2 نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص80.

3 قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، تر: زكي نجيب محمُود، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط1– 1988 م، ج23، ص70.

وقبله جاءت مقولة المعتمد بن عباد التي تدل على حسرته وهزيمته النفسية والسياسية عندما نفي إلى مدينة أغمات حيث قال: ((لأن أرعى الإبل لابن تاشفين خيرٌ لي من أن أرعى الخنازير لألفونسو))[1]، وكم تعالت آهات وصيحات الفقهاء والشعراء أمثال أبي البقاء الرندي في نونيته الشهيرة، فهذا من الآثار الجسيمة التي وقعت في تلك الديار ودمرتها بسبب السعايات وحب الدنيا، وما جرى بين الموحدين والمرابطين إلا من هذا القبيل ((فإن الإنسان ليتعجب من أمر أولئك الأندلسيين الذين لم يحسنوا الانتفاع بالفرصة التي أتيحت لهم من تكريس المرابطين أنفسهم للدفاع عن الأندلس، بل أخذوا يتندرون بهم ويتعالون عليهم حاسبين أنفسهم أعلى حضارة وأرقى جنسا من أولئك الأفارقة، فكانت النتيجة أن أضاعوا أنفسهم وبلادهم))2

استقواء أعداء الإسلام:

لقد تعدى فهم أعداء الإسلام منذ ذلك الزمن البعيد، كل ما يهدم هذا الدين القوي الذي تفشى في كل بقاع الدنيا، وفهموا طباع النفوس، وتعاملوا معها كما ينبغي أن تعامل به، فطنوا أن قوة الإسلام تتمثل في دينه، ودينه هو القرآن، وأن أبلغ غاية عند هذا المسلم هو شهوته ولذته، وهو مصدر ضعفه، خاصة عندما كانت حياة الذين ضيعوا الأندلس بعيدة على حمل رايات الإسلام والذود على بيضته بالجهاد والزهد في متاع الدنيا، وانغماسهم في شهواتهم، فكانت عاقبتهم التبار والهلاك، واستعدى عليهم العدو، ولاحقهم، وشردهم، ونكل بهم مثل ما فعل ((ألفونسو عندما سار على رأس القوات النصرانية المتحدة إلى الجنوب للقاء المسلمين، وهو واثق من تفوق قواته في العدد والعدة، والكفاية الفنية، ولم تصله أنباء دقيقة عن حالة الجيش الإسلامي))3، وكذلك تحالف فرد يناند وإيزبيلا وتوحدت مملكتهما وزواجهما والاتفاق بأن يكون الزواج في قصر الحمراء[4]، وما وقع من جرائم بشعة في حق المدجنين والموريسكيين، من القهر والتعذيب، وما جرى في محاكم التفتيش ظلما وعدوانا ضد المسلمين بعد شعور العدو بالنصر والقوة، وعلمه بضعف المسلمين، وما كان يجري بينهم من خيانات وسعايات فتت عضد الإسلام، وخلاصة الأمر، فليس هناك ما هو أمر من التسليم بما تأنس به النفس إلى

[1] الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص3.

2 معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص436.

3 دولة الإسلام في الأندلس، ج2، ص322.

[4] تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د خليل إبراهيم السامرائي، وعبد الواحد ذنون طه، وناطق صالح مصلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، لبنان، ط1، 2000 م، ص350.

الحقيقة البادية للعيان في بشاعة وشناعة أمر هذه الدوامة البشرية التي تلت عرش الإسلام وهدمته، سوى توصيف المنطلق الهدام الذي تعاقب على مر السنين إلى يوم البشرية هذا، ألا وهو سلطان الهوى، وهذا لا مقام له إلا بعد مجانبة الحق، والبعد عن الدين، والركون إلى الدنيا، وهجر الجهاد في نوعيه النفسي و الجسدي، ومثار اعتزازنا الذي يقوم على المغالبة والقوة، وفشو البطانة السيئة التي أصبحت تزين الباطل في كل عصر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والعاقل من اتعظ بغيره، والأسف كل الأسف لكل من يزين له الشيطان سوء عمله، ويدخله في هذه المنطقة الضيقة من الحياة، فيفسد دنياه وأخراه.

خاتمة البحث:

لعل خير خاتمة لهذا البحث تتجلى في أخذ العبرة لما آلت إليه أحوال تلك الممالك العظيمة التي شيدها الأجداد وكانت صروحا شامخة للإسلام، فأنهكتها السعايات التي أطاحت بعروش الإسلام، وزعزعت أركانه، فأصبحت أثرا بعد عين، فالعدو مازال متربصا بالإسلام وأهله، ومازال يكيد المكائد، فهو يسعى بلا ملل لملاحقة مجد هذا الدين المشرق، واتخذ معاول لهدمه من ضعاف النفوس وأصحاب الهوى وكل أجزاء هذا البحث تظهر جوانب خفية مأساوية أذهبت خير الدين والدنيا بين الساسة وأهل الفضل والعلم والدين والأدب وكانت آثارها سلبية علىٰ تلك الديار الإسلامية، ولعل ما بلغته همة الباحث هي بعض معالم هذه السعاية المقيتة، بعد تسليط الضوء علىٰ هذه القضية الجليلة التي كانت سببا من أسباب سقوط الأندلس في أيدي أعداء الإسلام بعد أن نمت وترعرعت في جنبات تلك الديار فهدمتها وجعلت أعزة أهلها أذلة فنسأل الله أن يقينا شرها ويحفظ ديننا وأمة نبينا.

المصادر والمراجع:

1. الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله لسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424 هـ.
2. الأدب الأندلسي، ماريا خيسوس، ترجمة أشرف دعدور، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 1999.
3. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، المحقق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1987.
4. أشهر الاغتيالات السياسية في العالم، هاني الخير، دار أسامة، بيروت لبنان، ط1، 1988.
5. إعتاب الكتاب، المؤلف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله، تح: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 1961 .
6. الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، مكتبة القرآن، القاهرة، ط2، 1983.
7. البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار الهلال، بيروت، ط2، 1993.
8. تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960.
9. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الأزدي الميورقي، تح: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة،القاهرة،ط1، 1995.
10. التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله المحقق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، 1995م.
11. التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثر على سقوط الأندلس، سامية مصطفى مسعد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، ط1، 2004.
12. حُصُوُننا مهدَّدة من دَاخِلِهَا، محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1983.
13. دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، أحمد إبراهيم الشعراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1982.
14. دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي، القاهرة،ط4، 1997.
15. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي ابن فرحون، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ط1، 1993.
16. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط1، 1979.
17. الرق في بلاد المغرب والأندلس، عبد الإله بنلميح، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2004.
18. ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، محمد لسان الدين ابن الخطيب، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط1، 1980م.
19. سقوط دولة الموحدين، مراجع عقيلة الغناي، كلية الآداب، جامعة بنغازي ليبيا، ط1، 1975.

20. سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس، واشنطون إيرفينج، تر: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1988.
21. صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحِميرى، عنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها: بروفنسال، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، ط2، 1988.
22. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، 1955.
23. قادة فتح الأندلس، محمود شيت خطاب، مؤسسة علوم القرآن، منار للنشر والتوزيع، ط1، 2003 .
24. القطوف الدواني في التاريخ الإسباني، عبادة كحيلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2011.
25. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن الحسن الكتاني، تحقيق إحسان عباس، ط 2، 1981 م، دار الشروق، بيروت.
26. الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ط1، 1963.
27. مجلة البحوث التاريخية، أمين الطيبي ليبيا، العدد الأول، 1979.
28. محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها، علي مظهر، المكتبة العلمية، مصر الجديدة، ط1، 1947.
29. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي، محمد سعيد العريان، دار الاستقامة، القاهرة، ط1، 1949.
30. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقديش، علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988.
31. نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، سالم بن عبد الله الخلف، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ/2003م.
32. نفح الطيب في غصن الأندلس، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، لبنان، 1997.

* * *

The quest and its impact on the political and literary life of Andalusia

Reda Muhammad Gibran
Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Languages, University of Tripoli, Libya
gobran77@yahoo.com

Abstract :
The aim of the research is to explain the concept of the term striving and its motives, and to identify the reasons that prompted many people of various qualities and ranks to adopt this reprehensible and forbidden characteristic, which caused the demise of what the conquering ancestors had built in Andalusia of the glory of Islam, which lasted for more than eight centuries, then This research also demonstrates the loss of the greatest blessing in this world, which is the correct belief, which must not be surrounded by doubt, as well as clear certainty and sincere belief in God, where envy, hatred, unfair competition, reliance on this world, and forgetting the grace of God and the Last Day have become widespread. And heedlessness, especially after untying the horse tied to faith, abandoning jihad, lowering the flag of Islam, and devoting the soul to meekness and worldly pleasures, which is the path that has paved the way for strife and spite among weak souls.

Keywords: the concept of seeking. Political motive. The motive of deception and maliciousness. The fall of Andalusia.